

الاتصال والتكيف الاجتماعي في الوسط الحضري

د/ جمال بوربيع
قسم علم الاجتماع - جامعة جيجل

الملخص:

الاتصال موجود بوجود الخليفة، وسواء أكان اتصالا تقليديا أم متطورا بتطور الوسيلة والعقل البشري من خلال تطور الإشارات والرموز واللغات، فالحديث عنه حديث عن تفاعل وعن إيصال فكرة واستقبال أخرى . وتكون إحدى نتائجه -في حياتنا المعاصرة- تكيفا اجتماعيا في المواقف الحياتية العابرة أو المستقرة نسبيا، وفي وسط حضري حيوي ذي علاقات ثانوية بين أعضائه، حيث لا تكون الفرصة لتعارف عميق ومتأصل، بل لمشاركة تفاعلية في بعض الأنشطة والتي لا تتكرر دوما مع نفس الأفراد . مما يجعل الفرد مطالبا بالتكيف لتحقيق توازن واستقرار في شخصه وعلاقاته . فمن خلال هذا المقال نحاول تحديد العلاقة الثلاثية بين الاتصال باعتباره عملية والتكيف الاجتماعي باعتباره نتاجا والوسط الحضري باعتباره مسرحا لمجموع هذه التفاعلات بما يحمله من خصائص وجمع بين المتناقضات.

الكلمات المفتاحية: التكيف الاجتماعي - الاتصال - البيئة الحضرية ...

Résumé:

La communication existe depuis le début de la création. Qu'elle soit traditionnelle ou moderne à travers le développement de signes, de symboles et de langues, la communication signifie l'interaction donc transmission et réception. Son résultat dans la vie moderne sera l'adaptation sociale, dans les situations de la vie courante (passagères ou relativement stables), au milieu d'une ville ou les relations secondaires entre ses membres, n'expriment pas une relation profonde et inhérente, mais une participation interactive dans des activités qui ne seront pas toujours avec les mêmes personnes, ce qui exige une adaptation pour atteindre l'équilibre et la stabilité personnelle et sociale. A travers cet article, nous essayerons de définir la relation triangulaire entre la communication comme un processus,

l'adaptation sociale comme résultat, et les zones urbaines comme scène de la somme de ces interactions.

Mots clés : communication – adaptation sociale – environnement urbain

مقدمة:

يعتبر موضوع التكيف الاجتماعي في الأوساط الحضرية من المواضيع التي تتعدد أبعادها، وحدوثه يعني وجود استقرار على مستوى البناء الاجتماعي وكذا نجاح الفتحات الداخلة في تشكله، ما يعني أيضا عدم وجود متناقضات كبرى داخل المجتمع الواحد ومحاولة التكيف حتى مع الثقافات العالمية.

لذا سأحاول في هذا العمل الربط بين العديد من المتغيرات قوامها العملية الاتصالية والتكيف الاجتماعي والوسط الحضري، ومعالجة العديد من القضايا بالشرح ومنها : التغير الثقافي، والهجرة والاتصال الأسري، وقضية تراجع النظام القرابي واعتماد مواقع التواصل الاجتماعي، مع التعرّيج طبعا على وسائل الإعلام وعن تطورها ووظيفتها في مجتمع يتراوح بين الترابط والعزلة الاجتماعيين، مما يتطلب الحديث عن التكيف الاجتماعي ودور كل من الضبط الاجتماعي والقانون في حدوثه.

وسيكون مفتاح ذلك البدء بتحديد المفاهيم المحورية الثلاثة لـ لموضوع: الاتصال والتكيف الاجتماعي والوسط الحضري:

1 - مفاهيم الموضوع:

1-1- الاتصال:

يعتبر الاختلاف في تحديد المفاهيم في العلوم الإنسانية والاجتماعية من سمة الباحثين الذين يعطون زوايا عديدة لتعريفاتهم كل بحسب الظروف الزمنية والموضوعاتية والإطار الفكري الذي يضع فيه التعريف، ومفهوم الاتصال لم يخرج عن القاعدة. ولذلك تعددت تعريفاته، ومنها:

قدم "جون ديوي" عملية الاتصال بأنها أعجب شؤون الإنسان قاطبة، وأنها ضرورية لكل عمليات التوافق والفهم التي يتطلبها المجتمع من أفراد للوصول إلى الاتفاقيات التي بدونها ينتهي المجتمع إلى الدمار والتفكك⁽¹⁾. وفي نفس الإطار ذهب "كولي" باعتبارها "عملية تنتقل بها الأفكار والمعلومات"⁽²⁾.

كما عرفه "مايكل ويسترون" الاتصال بأنه نقل المعاني وتبادلها بأسلوب يفهمه أطراف الاتصال⁽³⁾، أي أنه محور الخبرة الإنسانية . والاتصال يعني تبادل الأفكار والمعلومات التي

تتضمن الكلمات والصور والرسوم والرموز المختلفة ⁽⁴⁾. كما أن الاتصال ظاهرة اجتماعية وحركية تؤثر وتتأثر بمكونات السلوك الفردي والعوامل المؤثرة على طرفي عملية الاتصال ⁽⁵⁾، كما أنه عملية اشتراك ومشاركة في المعنى من خلال التفاعل الرمزي، تتميز بالانتشار في الزمان والمكان، فضلا عن استمراريته وقابليتها للتنبؤ ⁽⁶⁾، والاتصال وجب أن يتم وفق أسس وقواعد وأنظمة ومبادئ، كما يحتاج إلى أنظمة وسياسات وأدوات ومهارات متنوعة ⁽⁷⁾، وهو يعتبر محورا أساسيا وحيويا لوجود وتطور المجتمعات ⁽⁸⁾.

1-2- التكيف الاجتماعي:

يرجع حقل استعمال مصطلح التكيف إلى علوم الأحياء . ويقصد به كل تغيير يصيب الكائن سواء في الوظيفة أو الشكل ييسر له الاحتفاظ ببقائه كفرد ونوع، ومنه يمكن اعتبار التكيف توافقا ⁽⁹⁾.

وفي شكل مبسط، يمكن القول أن معنى التكيف يتضمن عملية التعديل التي تميز سلوك الفرد للبيئة التي يوجد فيها ، حيث تكون نتيجة ذلك التبدل، خلال فترة زمنية محددة، بيئة محددة وخصائص وأنماط مميزة لحياته ⁽¹⁰⁾.

ومن جهته، قدم "تيدور أدونو" التكيف من الجانب السيكولوجي للفرد وما يميز السلوكيات المتجذرة في شخصيته عن السلوكيات المكتسبة . وأما "فستجر" فنناقش التكيف في إطار الآراء والمواقف الممكن تغييرها حسب الظروف والبيئة المادية، كما أعطى كل من "هيمن ونيوكومب وميركون" التكيف فهما للتكيف انطلاقا من فهم خاصية الجماعة الاجتماعية التي تضم الفرد ⁽¹¹⁾. وهنا أكد على دور جماعات الانتماء والجماعات المرجعية، فهناك جماعات يكون الفرد في صفة انتماء بكل المقاييس، وهناك جماعات مرجعية والتي يرجع إليها الفرد في بعض سلوكياته وتكون في شكل مرجع لأفكاره ومختلف سلوكياته . ولذلك يمكن التعبير عن التكيف الاجتماعي بأنه التوافق الذي يحققه الفرد في مجموع تفاعلاته داخل جماعة لها خصائص معينة وقد تكون مغايرة لما كان يعايشه وما اكتسبه في بيئات أخرى، أو هو نظير لتطورات وتغيرات اجتماعية على المجتمع الأصلي إن لم يكن مهاجرا.

كما يمكن تقديم تعريف آخر بأنه التعديل الجزئي في مجموع السلوكيات والتي بدون تعديلها يتبين ويتضح اختلافا من شأنه التأثير على الاستقرار النفسي للشخص أو يحدث اختلافا داخل الجماعة. وعن طريق عملية التكيف نحصل على التوافق والاكتساب والتعديل، فإن كان طالبا أو عاملا فبالنجاح، وإن كان مهاجرا فبالنجاح.

1-3-الوسط الحضري:

يعتبر الوسط الحضري المسرح الذي تدور عليه أحداث وأدوار هذا الموضوع أي عملية الاتصال وكذا التكيف الاجتماعي، فهو إذن الوسط أو المحيط أو البيئة أو الحيز الجغرافي. ولإحاطة أكثر بالمصطلح وجب المرور على العديد من المصطلحات المتشابهة، ومنها:

1-المدينة: حاول "بارك" فهم المدينة بوصفها مكانا وكذلك باعتبارها نطاقا أخلاقيا⁽¹²⁾. وهناك من اعتبرها مساحة من الأرض شيدت عليها منازل ومنشآت وشقت بينها شوارع بحيث أصبحت شيئا مختلفا عن الريف المحيط بها⁽¹³⁾. كما عرفها "فاجنر" بأنها مواضع تركز النشاط التجاري. وفي السياق نفسه عرفها "فردريك فون" و"رئيسشوفن" بأنها محل إقامة مجتمع لا يعتمد في حياته على الزراعة، إنما يعتمد على التجارة والصناعة⁽¹⁴⁾. ولذلك، فالوسط الحضري يختلف عن الوسط الريفي باعتباره مركز تنظيم اجتماعي واقتصادي وثقافي خاص يخضع لوسائل ضبط اجتماعي رسمي أكثر من الوسط الريفي⁽¹⁵⁾.

2-التحضر: يعرف التحضر بأنه الانتقال من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية، حيث يتعين على الفرد أو الجماعة أن يتكيف بالنظم والقيم السائدة في المدينة⁽¹⁶⁾، لأن الحياة في المدينة تمتاز بأبعاد براغماتية وسلوكيات معقدة.

ومما سبق، يمكن تقديم التعريف التالي للوسط الحضري: وهو البيئة المختلفة عن خصائص الريف، يتوفر بتوفر المجالات الصناعية والخدماتية وتجارية وتشهد تخطيطا في المباني وتوفر الهياكل الإدارية وكذا وجود خصائص وقيم وضبط رسمي ووجود اتصالات متطورة وكذا شبكة مواصلات.

2- الأطر النظرية لموضوع الدراسة:

يعتبر التأصيل النظري من الخطوات المهمة لتحقيق الموضوعية وكذا الامتداد الحقيقي والمنهجي لموضوع الدراسة والوصول إلى النتائج المعبر عنها سوسيولوجيا والقابلة للتطبيق وكذا القدرة على التنبؤ. وفيما يخص موضوع الاتصال والتكيف الاجتماعي في الوسط الحضري ننطلق من ثلاث نظريات:

أولا: نظرية التناظر المعرفي والمقرة بوجود اتجاهات في داخل الفرد متنافرة ومتعارضة، "والتوافق أن يعمل الإنسان على جعل اتجاهاته متفق عليها أو تتفق مع بعضها البعض ومع

سلوكه⁽¹⁷⁾. وحسب "فستنجر" فوجود التعارض يكون لأن الأنماط الشعبية الثقافية التي يقبلها الناس بدون نقاش تأتي لأنها تعكس وجهات نظر الجماعة الأخلاقية الأساسية⁽¹⁸⁾.

ثانيا: نظرية التكيف مع ال فقر: ويمثلها "ميللر، ولي رينووتر ولويس ترايسبرج، وهربرت جانر". وتلخص هذه النظرية "بأن سلوك الطبقة الفقيرة هو بمثابة التكيف مع موقف الحرمان، تعززه مجموعة من القيم والمعايير والمعتقدات الناشئة عن ذلك الموقف"⁽¹⁹⁾، كما أن عدم الأمن الاقتصادي، الفقر، المكانة المزدنية، قلة الحيلة عوامل مؤثرة في الفرص الضئيلة، وهو ما ذهبت إليه "جانيت أسكهام" أن هذه العوامل تزيد في الحاجة إلى التكيف مع المعايير والأنماط السلوكية التي تشمل عدم التخطيط للمستقبل، وعدم القدرة على التحكم في البيئة التي يعيش فيها الفرد⁽²⁰⁾.
ثالثا: مدرسة شيكاغو من خلال "توماس وزنانيكي" والتي تناولت موضوع تكيف المهاجرين إلى مدينة شيكاغو⁽²¹⁾، وحسب "غيدنز" فالفضل يعود إلى هذه المدرسة من الناحية الوظيفية من خلال رسم خرائط للمدينة تبدأ من قلبها وتنتهي بالحزام الخارجي للمتقنين يوميا، أو من الناحية النظرية في ضوء محاولات تفسير ديناميات نمو المدينة وتغيرها، ويذهب "ويرث" إلى أن الشخص مجرد من القدرة على التعبير الثقافي عن الذات والمعنويات والإحساس بالمشاركة النابع من العيش في مجتمع متماسك⁽²²⁾.

3- التكيف الاجتماعي بين الاتصال والتغير الثقافي:

في هذا العنصر نناقش العديد من القضايا التي نرى بأنها مؤثرة على التكيف الاجتماعي في الوسط الحضري وطبعا من منطلق اتصالي.

أولا: "البيئة أثرها وحتميتها على نسق الثقافة وأسلوب التفكير والأساطير حيث تفرض البيئة أسلوب وطريقة الحياة وتؤثر على نمط الثقافة ومستوى المعيشة"⁽²³⁾. ومن ثم فتتأثر المدينة تختلف عن ثقافة الريف، لأن الثقافة عادة ما تعالج من وجهة النظر الأنثروبولوجية، والتي تشمل مجمل التراث الاجتماعي الخاص بمجتمع معين، بمعنى أن لكل مجتمع ما يميزه عن غيره من ثقافات مختلفة بمختلف السلوكيات وطرق التفكير والتفاعلات، والتي تنتقلها الأجيال المتعاقبة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي، عن طريق الاتصال اللغوي والخبرة بشؤون الحياة والممارسة⁽²⁴⁾.

ثانيا: إن التثقيف العام "هدفه زيادة ثقافة الفرد بواسطة وسائل الإعلام وليس بالطرق والوسائل الأكاديمية التعليمية، والتثقيف العام يحدث في الإطار الاجتماعي للفرد سواء كان ذلك بشكل عفوي وعارض أم بشكل مخطط ومبرمج ومقصود"⁽²⁵⁾ كما تتميز الثقافة "بدوام الاستمرار عبر الزمن بسبب قدرتها على تخليد نفسها"⁽²⁶⁾.

ثالثاً: الاتصال والتغير الثقافي، "إذ يكون عن طريق الاتصال إما فردياً أو جماعياً، إما مؤقتاً أو دائماً"⁽²⁷⁾، وأقول إمّا كلياً أو جزئياً، "وهذا يفترض بالضرورة وجود أفراد أو جماعات من منطقة واحدة من ثقافتين الأمر الذي يؤدي إلى سهولة عمليات النقل الثقافي"⁽²⁸⁾ وحدث تكيف اجتماعي "لأن التكامل لا يقتصر على مجرد تنافس العادات من أجل البقاء، لكن لابد أن تصبح أيضاً متلائمة باستمرار مع بعضها وهو ما سماه سمير "بالضغط في اتجاه الانساق وكل تجديد يغير"⁽²⁹⁾، واعتبر "أجبرن" أن الفترة التي يستغرقها الجيل لقبول التجديد واكتمال عملية التكيف، بالفجوة الثقافية"⁽³⁰⁾ وهنا نبرز دور الثقافة المحلية إذ أثبتت العديد من الدراسات بأن الأشخاص الذين يعيشون في المناطق المتدينة يتعرضون لنوع خاص من المعايير الاجتماعية"⁽³¹⁾.

رابعاً: التنوع أم التجانس الثقافي : ناقش فضيل دليو هذه القضية من منطلقين أولهما قضية هجرة الفرد من الريف إلى المدينة بما يحمله من إطار ثقافي، ليجد زخم من الثقافات من أمكنة وأزمنة مختلفة وهنا القضية الثانية وهي أن الأنظمة الإعلامية كانت تعمل في حيزها المحلي إلى أن تعدت الحدود مما أدى إلى مواجهات ثقافية غير معهودة قد تؤدي إلى التناقض والغزو الثقافي أو إلى الافتقار والتبعية الثقافيتين لصالح بعض الدول⁽³²⁾. وبالطبع فوجود تناسق وتوحد ثقافيين يكاد يكون شبه مستحيل، "المجموعات الاجتماعية المميزة لا تزال تتواجد كالمجموعات العرقية والشابة والتحف الفكرية التي تستمر في دعم وسائل الإعلام المتخصصة التي توصل اتجاهاتها الفكرية من أجل ضمان انتشارها بين الناس"⁽³³⁾.

4- التكيف الاجتماعي في الوسط الحضري ومعوقاته من الزاوية الاتصالية:

يتميز المجتمع الحضري بالعديد من الخصائص التي من شأنها إما تسهيل عملية التكيف الاجتماعي أو تكون في شكل عقبات مؤثرة ومنها ما تعلق بالجانب الاتصالي. فحسب كل من "جورج زيميل وبترم سوروكين وزيمارمان وويرث " ضمن الخصائص نجد انتشار وسيطرة نسق من العلاقات الاجتماعية تتسم بالطابع السطحي غير الشخصي إلى جانب سيطرة الطابع الانقسامي على الأدوار الاجتماعية⁽³⁴⁾، هذا من جهة، ومن جهة أخرى استخدم "لويس مفرد عبارتين يصف فيها الظروف بالغة السوء في المراكز الحضرية وهما صراع الفردوس وصراع الجحيم"⁽³⁵⁾، كما رافق النمو الحضري في مدن غرب أوروبا ظهور اللاتجانس في المباني للأنساق الطبقيّة، "ومع استمرار التنمية الحضرية أصبحت الأنساق الطبقيّة أكثر مرونة، والتميز الاجتماعي أقل وضوحاً"⁽³⁶⁾.

يشير الباحثون في هذا الإطار إلى وجود صدمة حضارية تحدث حين اتصال المجتمعات المحلية بالمجتمعات المعقدة وتقول كذلك بوجود غزو ثقافي من دول العالم المتطورة والمتحكمة

في تكنولوجيات الاتصال والدول المتخلفة المستهلكة للمنتجات الإعلامية، وكانت النتيجة الدخول في صراع إما المحافظة على الأنساق الثقافية المتوارثة والمكتسبة من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية وإما محاولة إدخال تغييرات واعتبارها من متطلبات العصر أو مجالات التحضر، أو كمحاولة لتكيف اجتماعي ثقافي عالمي.

هذه الاتجاهات تكون أقل حدة فيما يخص التكيف الاجتماعي في المدينة الجزائرية تحديداً لأنه لا توجد اختلافات جوهرية أو متناقضات صارمة في المجال الأخلاقي، واعت ماد المجتمع على منطلقات موحدة، هذا من جهة، من جهة أخرى سهولة التكيف فلا نسجل تجارب فاشلة كثيرة فتجد من الشباب مثلاً ينتقل من الريف لتكون العديد من المدن محطات له في إطار عمل أو دراسة، لأن وسائل الاتصال مكنت من وصول قيم المدينة وسلوكات الأوساط الحضريّة إلى الريف، ومن ثم حدث العكس في الماضي نتجه إلى المدينة ثم نتعرف على مميزاتها فنجرب التكيف أم نتعزل، وكانت المدينة عالماً شبه مجهول ومخيف، أما بتطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال أصبحنا نعرف المدينة بشكل واسع، وسكان المدينة يعرفون خصائص وقيم الريف ما يسهل عملية التكيف الاجتماعي، وهنا أخص دور الاتصال في عملية التعريف المسبق ومن ثم التحضير الفعلي والعقلاني للانتقال إلى الوسط الآخر والتكيف الذي من شأنه أن يحقق حراكاً ونجاحاً وتفاعلاً وحتى تميزاً واستقراراً.

والتكيف في الوسط الحضري معناه القبول بالعديد من المظاهر منها مثلاً خروج المرأة للعمل والعمل مثلاً في الفترات المسائية، وكذا تعليم البنات وتقلد المرأة لمناصب معينة تأخذ وقتاً إضافياً من وجودها في البيت، وكذا المشاركة في جميع القرارات المتخذة بواسطة المجتمع المدني بمختلف تشكيلاته واستعمال وسائل التواصل الاجتماعية للتعبير عن الأفكار، أيضاً داخل الأسرة لا تكون السلطة الأبوية الممتدة كما في الريف بل تكون بعض الحريات لإبداء الرأي ووجود هامش من الحرية بالنسبة للأبناء وكل هذا في إطار قيم المجتمع، فالتكيف في الوسط الحضري معناه التمدن التحضر، والتواصل ومستوى تعليمي راق وكذا متخصص، ووجود مجالات ثقافية وعلمية لصقل المواهب.

ومن المعوقات التي قد تسبب في عدم تكيف اجتماعي في الوسط الحضري ونجد للاتصال بعضاً من المساهمة إذ اعتبرنا طبعاً الاتصال هو "العملية أو الطريقة التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسق اجتماعي معين" (37).

أولاً: يتأثر التكيف الاجتماعي في الوسط الحضري من خلال المهن التي غلبت في مدن معينة، فالمدن تكون إما صناعية أو تجارية أو مدن جامعية ومنوعة ما يعني وجود أطباء أو إداريين أو

عمال مهرة وغير مهرة ما يؤثر على الجانب الاتصالي⁽³⁸⁾. وفي هذا نسجل نقلاً في أحياء مدن بالمقابل نجد تكيفاً وترابطاً في أخرى، "الصدقات تبنى بين ذوي المهنة الواحدة أو الهوية المشتركة، دون مراعاة لقربهم أو بعدهم من الناحية السكنية، أي أن هناك ارتباطاً تخصصياً أكثر من الارتباط الجغرافي.

ثانياً: بداية، يلاحظ غياب المظاهر البارزة في النسيج العمراني للمدينة وبالتالي نجد تكيفاً أقل، فالجامعات بسبب التعليم عن بعد، المكتبات، البنوك، المتاحف وأكشاك الصحف ومحطات الإذاعة والتلفزيون بسبب التطور التكنولوجي⁽³⁹⁾.

ثالثاً: هناك مجموعة من المعوقات الشخصية لأن الحياة الحضرية تركز على البعد النفسي، فقد أشار روبرت بارك أن الحياة داخل المدينة تجعلها أقل عاطفية وأكثر عقلانية من الحياة في مكان آخر⁽⁴⁰⁾.

كما أن هناك معوقات تنظيمية وتتعلق بوجود هيكل تنظيمي يحدد مراكز التواصل وخطوط السلطة الرسمية وأهداف التواصل⁽⁴¹⁾، كما أن هناك معوقات بيئية لارتفاع الحرارة والطقس، ومعوقات اجتماعية وقد ناقشنا الكثير من أجزاء هذا المقال، والهدف هو الوصول إلى اتصال اجتماعي فعال.

رابعاً: قد يكون المعوق أصلاً في عملية الاتصال ، ونذكر مثلاً "عدم وجود عدالة في بيئة الاتصال"⁽⁴²⁾ أو عدم إنصاف طبقة دون أخرى، أو أن أحد أطراف الاتصال أو كلاهما لا يفهم الهدف أو الأهداف المشتركة بينهم⁽⁴³⁾، أو الاهتمام بالقضايا العابرة وعدم معالجة الظواهر القائمة في المجتمع والتي من شأنها أن تحدث تصدعا في البناء الاجتماعي في عديد السنوات المقبلة. خامساً: عدم القدرة أحياناً على التعرف على رجوع الصدى من وسائل الاتصال الجماهيريية "نظراً لعدد الكبر من البشر وال تي تمتاز بالتنوع وبأنها مجهولة إلى حد كبير للقائم بالاتصال"⁽⁴⁴⁾، ما قد يؤثر سلباً في حدوث تكيف اجتماعي.

5) الهجرة والتكيف الاجتماعي في الوسط الحضري:

إن الوسط الحضري في المدن المتقدمة تزدهر فيه الفرص الاقتصادية وارتفاع الرواتب والخدمات الصحية وإمكانية الوصول إلى مكانة اجتماعية مرموقة و الحراك الاجتماعي باستغلال المهارات ووجود وسائل للتعبير عن الذات وتطور الاتصالات وتوفر المواصلات. كل هذه الوضعية جعلت العديد من سكان الأرياف والمناطق النائية يتخذون قرار الهجرة والتوجه نحو المدن، ولكن السؤال الأهم : "لماذا وكيف يتصرف الناس بتناغم مع بعضهم البعض مع مرور الوقت ؟ فالعلاقات الاجتماعية على عكس تلك التفاعلية ليست مؤقتة وسريعة

الزوال⁽⁴⁵⁾. وهنا يدخل عامل الاتصال ودوره في تأصيل "الشعور بالانتماء والولاء عند الأفراد وإحساسهم بأنهم يعيشون ويتعايشون مع بعضهم البعض"⁽⁴⁶⁾.

ومن الإشكالات التي تقف أمام تكيف المهاجر من الريف إلى المدينة تقبل المجتمع الجديد للعامل، لأنه كثيرا ما يشعر أهل المدينة الأصليين بالضيق من العمال المهاجرين لاقتناعهم بأن هؤلاء الدخلاء يزاحمونهم في أقواتهم. أيضا من المشكلات نجد الانفصال عن الأسر في الريف مما يؤدي إلى مشاكل خاصة للجانبين. وهناك التفكك بسبب شعور العامل المهاجر بحرية، إذ تقل سلطة المجتمع بتقاليده وعاداته وأعرافه التي كانت مفروضة عليه في مجتمع ه القروي الصغير⁽⁴⁷⁾.

ولعل وجود الهجرة التي هي بمثابة عملية نقل بشري تلقائي⁽⁴⁸⁾ يتسبب في زيادة سكانية غير طبيعية، فتتشكل لدينا ثنائية ريفية حضرية، أحدهما يمثل أساس الحياة في شكلها البسيط، وهو نموذج المجتمع الريفي، أما الثاني فينتهي على أساس مظاهر التعقيد والتشابك في الأنساق الاجتماعية وهذا النمط من الحياة يمثل مجتمعا المدينة⁽⁴⁹⁾.

لذا يجب على المهاجر أن يكتسب القوة الاجتماعية التي تمكنه التفاعل والتبادل والتأثير والاعتماد المتبادل مع غيره، والتحول إلى فاعل اجتماعي له قيمة⁽⁵⁰⁾، لأن الرصيد الثقافي الذي يشكل زاد المهاجر الريفي يصبح في كثير من الأحيان غير ذي فعالية في التعامل مع تعقيد الحياة في المدينة، مما يجبره على السعي لتحصيل معارف ومعلومات وسلوكات تشكل مجتمعه ما نطلق عليه ثقافة المدينة⁽⁵¹⁾.

6- وسائل الإعلام في المجتمع بين الوظائف والتكيف الاجتماعي

نتناول في هذا العنصر العديد من النقاط وهي في عمومها حول الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في ترابط وتكيف أفراد المجتمع، كون الوسط الحضري يزيد فيه التفكك الثقافي و يقلص فيه دور الضبط الاجتماعي و تزيد فيه أهمية المادة الإعلامية وخاصة في مجتمعات متعددة الثقافات، وفي وسط حضري يتسم بالحركة والسرعة، وأحيانا بالكرهية والعدوانية واللامبالاة. كما يتمثل أول أمر مؤثر في أخلاقيات العمل الإعلامي، حرية التعبير والاتصال ليست مطلقة بلا قيود، وإنما يحكمها المسؤولية الاجتماعية التي تقتضي "حق المواطن في أن يعرف، وحق الإعلامي في النشر، وحق الدولة في الحفاظ على مصالحها العليا وأمنها واستقرارها"⁽⁵²⁾.

أما ثاني أمر فيتمثل في أن يعمل الإعلامي على تأكيد القيم الدينية والأخلاقية والمثل العليا المتراكمة في التراث البشري⁽⁵³⁾ لأن لوسائل الإعلام دور في ترابط ونقل ثقافة المجتمع والتعريف بها، ووسائل الإعلام في المجتمع "كالجهاز العصبي في الجسم، فكلاهما يعمل على

تتأسس الأعضاء⁽⁵⁴⁾ فمن الدور الوظيفي للإعلام الذي يجب أن ينطلق على اعتبار أنه " قناة الاتصال والتفاعل والتأثير بين أفراد المجتمع "⁽⁵⁵⁾ وبين الوظيفة الحديثة للإعلام والمتعلقة "بخلق طموحات الخيال والتصورات لدى الشعوب "⁽⁵⁶⁾... فمن "هارولد لاسويل" والعمل على ترابط المجتمع إلى "شرام" الذي أسند للإعلام دور المعلم إلى ليزلي مويلز والمبادرة في التغيير الاجتماعي عن طريق الإعلام إلى كل من "دوفلور ويول روكيتش" وإعادة بناء الواقع الاجتماعي⁽⁵⁷⁾. أما "لازارسفيد وميركون" فقد أضافا لوظائف وسائل الاتصال الجماهيري بعد نقل الإرث من جيل إلى جيل والترفيه أضاف عاملين هما تقوية المعايير الاجتماعية وتخصيص بعض أعضاء المجتمع بمكانة ومركز اجتماعيين، وهنا ضرورة التهام الإعلام المعاصر بالقوى الفاعلة في المجتمع⁽⁵⁸⁾، قصد تحقيق التكيف الاجتماعي في وسط متراحم، ومتراكم، وطموح، ومتغير. وأما ثالث أمر فيتمثل في جماعات الضغط أو الجماعات الضاغطة سواءً محليا أو خارجيا. إذ تقوم السياسة الإعلامية على العديد من المضامين تتلخص في "المبادئ، المعايير، القواعد، التحكم، السلوك الإعلامي، الأيديولوجيا، السياسة وكذلك القيم "⁽⁵⁹⁾. ويدخل هذا في استراتيجية إعلامية نحو المجتمع وهي الخطة التي ترشد منظمتك للتفاعل مع الإعلام، لئلا تساعذك على ضمان أن رسالتك متماسكة ومنظمة ومستهدفة⁽⁶⁰⁾.

وما يؤكد وجود جماعات ضاغطة هو التأكد من عدم حيادية الإعلام فنجد أنه في المؤسسة الواحدة يتكرر تناول بعض المعلومات ومع ذلك فهي لا تمر، بينما العكس منها يتجاوز معلومات أخرى الحواجز التي تبدو غير قابلة للاختراق وهذا في شتى الأنساق الاجتماعية⁽⁶¹⁾. وتأخذ جماعة الضغط المحلية أشكالا متعددة منها: مننديات فكرية، تنظيمات سياسية، جماعات دينية، وتمارس ضغطها من خلال عدة قنوات واحدة منها وسائل الإعلام المنافسة من خلال طرح وجهة نظرها أو من خلال ملكيتها لوسائل الإعلام⁽⁶²⁾ كما تطلب الجماعة الضاغطة من أعضائها الإذعان لمعاييرها أو قواعدها⁽⁶³⁾، كما يرى أصحاب اتجاه استراتيجية القوة الضاغطة أن استخدام استراتيجية الإقناع وحدها لإحداث تغييرات مرغوبة قد يؤدي إلى استفحال كثير من المشكلات وأن إجراءات الضغط وإكراه الأقلية لصالح الأغلبية إجراء له أهمية في مواقف كثيرة⁽⁶⁴⁾، ولكن بالمقابل قد يمكن للجمهور "أن يؤثر في عملية التأطير الصحفي بصفة عامة من خلال تأثيراته في المصادر والنخب والسياقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية فضلا عن تأثيراته في القائم بالاتصال والمؤسسات الصحفية المختلفة⁽⁶⁵⁾.

ويبقى لوسائل الإعلام دورا في نشر المعلومة والحقيقة وكذا التنشئة الحسنة والابتعاد عن المغالاة والخضوع لجماعات الضغط ما من شأنه التأثير على التكيف الاجتماعي وبرز فئات

متنافرة ومتضادة ونشر الكراهية بين أفراد المجتمع، لأنه من متطلبات التقمص الوجداني هو حصول حالة من الإسقاطات في تحديد منظومة من الصفات المرغوبة في النموذج في التخييل⁽⁶⁶⁾ والوصول بعدها إلى التكيف الذاتي وكذا الاجتماعي⁽⁶⁷⁾.

7- الوسط الحضري بين تطور تكنولوجيا الاتصال والإبداع والعزلة الاجتماعية:

يكون من السهل التعبير عما وصلت إليه تكنولوجيا الاتصال اليوم وتخطيها إلى مرحلة الإبداع، لكن يكون من الصعب الحديث عن عزلة اجتماعية في ظل هذا التطور المذهل للمعلومة وهي من المتناقضات الصارخة.

لا شك أن أهم عامل للإبداع هي الحرية وهذه "الحرية لا يمكن عزلها عن مفهوم حق الإنسان في الاتصال في أن يسمع ويُسمع وأن ي علم ويُعلم⁽⁶⁸⁾ كما يقول جان وراسي، فوجود الحرية واتساع وتنوع نطاق علوم وفنون الاتصال ينتج عنه "أن يكون المناخ العام ومكوناته البيئية الخارجية مواتية وداعمة لممارسة الاتصال"⁽⁶⁹⁾ هذا الإبداع مما نتج عنه "اقتراب أجزاء العالم من بعضها البعض"⁽⁷⁰⁾ كما أدى إلى "التفكك المعلوماتي وذلك بفضل الأقمار الصناعية"⁽⁷¹⁾ كما "فتحت ثورة المعلومات عصرا جديدا للبشرية يقارن بعصر الثورة الصناعية التي غيرت كثيرا من أوجه النشاط الإنساني"⁽⁷²⁾، كما زاد عن ذلك فضيل دليو بقوله «تمثل تكنولوجيا الإعلام والاتصال ومنجزاتها المستمرة وسريعة التطور وما يتصل بها من تكنولوجيا المعلومات، ثورة حقيقية انطلقت مع تصاعد الإحساس بأن الواقع الاتصالي القائم لم يعد كافيا للوفاء بمستلزمات القرن الواحد والعشرين»⁽⁷³⁾، كما أن التقنيات "الالكترونية الحديثة تكاد ترسم صورة مختلفة لعالم جديد"⁽⁷⁴⁾، أما من ناحية التكيف فسجل العديد من الباحثين عزلة اجتماعية كانت نتاجا لصراع الثقافات وكذا نتاجا لهيمنة الدول المتطورة على المادة الإعلامية، وفي ذلك "الخطر الذي سوف تجلبه الشاشات الالكترونية من جميع أنحاء العالم وما سوف تسببه من لا تجانس حضاري يهدد الثقافات القومية"⁽⁷⁵⁾، كما "كشفت دراسة كريستوفر سانديرز صيف 2002 مدى تأثير استعمال الإنترنت ومشاعر العزلة الاجتماعية"⁽⁷⁶⁾، كما كان لتطور هذه الحضارة الغربية سببا، في إضاعة قيم الإنسانية"⁽⁷⁷⁾، وحتى قادة الكتلة الشرقية يعترفون بذلك حيث أقروا بأن، التلفزيون الوافد إلى بلدانهم ألهب مشاعر الناس وحول آمالهم إلى منعطفات جديدة"⁽⁷⁸⁾.

8- التكيف الاجتماعي في الوسط الحضري بين الضبط الاجتماعي والقانون:

الصورة الحالية التي توجد عليها المجتمعات في أوروبا وأمريكا من انضباط وصرامة في التعامل وفي احترام القانون وإشارات المرور واحترام الحريات هو نتاج للضبط الاجتماعي أم تطبيق المواد القانونية بالصرامة الكافية لتعديل سلوك الأفراد وتكيفهم اجتماعيا، ترجع أهمية

الضبط الاجتماعي في توحيد الرؤى حول القيم والمعايير والعادات ومن ثم المحافظة على البناء الاجتماعي والحفاظ حتى على تواجد واستمرار الجماعة بنفس الخصائص، ويعبر "بوتومور" على طريقتين لتنظيم سلوك الأفراد والجماعات منها القوة والمعايير "حيث يتم اللجوء إلى القيم والمعايير لحل النزاعات وتحقيق التوترات فيما بين الأفراد وفيما بين الجماعات" (79)، والوصول إلى تحقيق تكيف اجتماعي بين الأفراد والجماعات المختلفة، وتمت نظرة دعم هذا الاتجاه باعتبار أن التكيف والتلاؤم في المجتمعات الحديثة لا تتم عن طريق القانون "كان قانون الحكم مدنيا أو دينيا أو كان عقدا اجتماعيا معبرا عن إرادة السبق" (80)، وحسب "فوكو" يكون "بالخضوع لمعايير استتبعت وتم تمثيلها في تضاريس الجسد" (81)، وهنا نسجل تعارض بين القانون والمعيار وقد فسر من منطلق جينالوجي (*).

بالمقابل ذهب "ريتشارد لايبير" إلى أن "القانون مجموعة من القواعد الضابطة للسلوك الفردي" (82)، وهو كذلك "مجموعة من القواعد تفرضها الدول على أفرادها بطريقة تحكمية مقصودة، وتمتاز بوضوحها ودقة تحديدها" (83)، وتقول سواء كان عرفا أو قيما أو قانونا فكل هذه المظاهر تساعد على استقامة السلوك فتضمن حقوق الفرد البسيط وتحد من تجبر الأقوياء، وتحقيق تكيف اجتماعي ممكنا.

خاتمة:

بعد الذي تم طرحه بجل أبعاده الاتصالية، السوسيولوجية والنفسية وفي إطار الوسط الحضري من مدن وتجمعات حضرية يتضح دور الاتصال والتأقلم في تحقيق تكيف اجتماعي متوازن بين تعديل السلوكيات والخصائص، بما يتماشى مع التحضر أو الثقافات الأخرى والحفاظ على الخصائص والقيم الخاصة والمتأصلة في تكوين الأفراد، لنصل إلى التطور الإيجابي للجنس البشري وتحقيق المدنية وجانب من الإبداع الإنساني، فنكون في أمس الحاجة إليه لمجابهة المستجدات القادمة محليا أو على مستوى كوكبنا.

الهوامش:

- (1) - دسوق أبو العلا محمد : نظريات الاتصال المعاصرة في ضوء تكنولوجيا الاتصال والعولمة، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2013، ص15.
- (2) - هناء حافظ بدوي: الاتصال بين النظرية والتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2003، ص25.
- (3) - بشري العلاق : نظريات الاتصال، مدخل متكامل، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص14.
- (4) - حسن عماد مكاي، ومحمود علم الدين : تكنولوجيا المعلومات والاتصال، الدار العربية للنشر والتوزيع ، مصر، 2009، ص65.
- (5) - مدحت أبو النصر : مهارات الاتصال الفعال مع الآخرين، المجموعة العربية للتدريس والنشر، ط1، مصر، 2005، ص15.
- (6) - Geyers et al: the Dynamics of human communication, mc grow, hill book company, third ed. 1980,p11.
- (7) - مصطفى أبو بكر، عبد الله بن عبد الرحمان البريدي: الاتصال الفعال، مدخل استراتيجي سلوكي لجودة العلاقات في الحياة والأعمال، الدار الجامعية مصر، (2007، 2008)، ص38.
- (8) - فواز منصور الحكيم: سوسيولوجيا الإعلام الجماهيري، دار أسامة، الأردن، 2011، ص19.
- (9) - حسني خريف : مدخل إلى الاتصال والتكيف - دراسات نقدية - مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة جامعة مرقري قسنطينة 2005، ص38.
- (10) - المرجع السابق، ص38.
- (11) - المرجع السابق، ص39.
- (12) - غريب محمد سيد أحمد: علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، مصر ، 2006، ص79.
- (13) - محمد السيد غلاب : البيئة والمجتمع، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، مصر، 1997، ص391.
- (14) - المرجع السابق ص393.
- (15) - Remy Jeon : la ville et l'urbanisation, Geamlaux, Edition Du alot, 1974, p234
- (16) - Auword Pchudacoff : l'urbanisation a la mesure de la société; les nouveaux horizons ; 1977, p11.
- (17) - بسام عبد الرحمان الشاقبة، نظريات الاتصال، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص167.
- (18) - المرجع السابق ص167.

- (19) - مصطفى خلف عبد الجواد : علم اجتماع السكان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط 1، عمان، 1430/2009هـ، ص88.
- (20) - المرجع السابق ص 89.
- (21) - حسين خريف، مرجع سابق ص 99.
- (22) - أنظر أطونى غيدون: مقدمة نقدية في علم الاجتماع ص ص. 123، 124.
- (23) - قلاوي محمد إسماعيل: علم الاجتماع الحضري مشكلات التهجير والتغيير والتنمية، نشأة المعارف، مصر، 1985، ص211.
- (24) - المرجع السابق، ص27.
- (25) - سعاد جبر سعيد: سيكولوجية الاتصال الجماهيري عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2008، ص70.
- (26) - عدنان يوسف العتوم: مرجع سابق، ص44.
- (27) - محمد عاطف غيثا: التغيير الاجتماعي والتخطيط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1987، ص45.
- (28) - المرجع السابق، ص45.
- (29) - سامية محمد جابر: علم الاجتماع العام، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2004، ص147.
- (30) - المرجع السابق، ص148.
- (31) - عبد الرحمان محمد العيسوي: الصحة النفسية والجريمة الجنائية، المكتب العربي الحديث، دت، ص 208.
- (32) - فضيل دليو: التكنولوجيات الجديدة للإعلام (المفهوم الاستعمالات الأفاق)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص112.
- (33) - عدنان يوسف العتوم: مرجع سابق، ص100.
- (34) Albert f.Reiss, urbanism in Gould and William I-kdb (eds): a dictionary of social science pp738-739.
- (35) - هناء محمد الجوهرى: علم الاجتماع الحضري، دار المسيرة للنشر والطباعة، ط 1، الأردن، ص21.
- (36) - حسين عبد الحميد أحمد رشوان : التخطيط الحضري، دراسة في علم الاجتماع، مركز الإسكندرية للكتاب 2005، ص30.
- (1) - ميلود سفاري وآخرون: الإشاعة والرأي العام، مخبر علم اجتماع الاتصال، جامعة منتوري قسنطينة، 2003، ص 119.
- (38) - عبد المنعم شوقي : مجتمع المدينة، الاجتماع الحضري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط 7، بيروت، 1981، ص 66
- عبد الله محمد عبد الرحمان: النظرية في علم الاجتماع، النظرية الكلاسيكية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003، ص 124.
- (39) - حسين عبد الحميد أحمد رشوان: المرجع السابق، ص 41.
- (40) - عدنان يوسف العتوم: مرجع سابق، ص 143.

- 1- محمد أبو العلاء: نظريات الاتصال المعاصرة في ضوء تكنولوجيا الاتصال والعولمة، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، 2013، ص 34
- (43) - المرجع السابق، ص 33.
- (44) - John b. Thompson, the Media and Modernity A social theory of the media polity press, Britain 1995, p 5.
- (45) - عدنان يوسف العتوم وآخرون، مرجع سابق، ص 17.
- (46) - دسوق أبو العلاء محمد: مرجع سابق، ص 129.
- (47) - عبد المنعم شوقي، مرجع سابق، ص 122.
- (48) - قبطوي محمد إسماعيل، مرجع السابق، ص 379.
- (49) - حسين خريف، مرجع سابق، ص 45.
- (50) - عبد السلام حيمر: في سوسيولوجيا الخطابة، من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل، الشبكة العربية لأبحاث النشر، ط 1، لبنان، 2008، ص 367.
- (51) - حسين خريف: مرجع سابق، ص 103.
- (52) - حسين عماد مكاي، عادل عبد الغفار: الإعلام والمجتمع في عالم متغير، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2008، ص 97.
- (53) - عبد الرزاق محمد الدليمي: إشكاليات الإعلام والاتصال في العام الثالث، مكتبة الراي العلمي، عمان، 2004، ص 69.
- (54) - سعاد جبر سعيد: سيكولوجية الاتصال الجماهيري، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2008، ص 72.
- (55) - بسام عبد الرحمان المشاقبة: نظريات الإعلام، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2011، ص 44.
- (56) - المرجع السابق، ص 46.
- (57) - خلدون عبد الله: الإعلام وعلم النفس، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط 1، عمان الأردن، 2010، ص 57.
- (58) - أديب خضور: الإعلام والأزمات، دار الأيام، ش 5، دم، للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر 1999، ص 53.
- (59) - محمود عزت اللحام وآخرون: التخطيط الإعلامي، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2015، ص 104.
- (60) - علي عبد الفتاح: إدارة الإعلام، دار الهاوزري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2014، ص 5.
- (61) - Michel Crozier: la société bloquée, Edition du seuil, Paris, 1984, p69
- (62) - علي عبد الفتاح: مرجع سابق، ص 136.
- (63) - معن خليل عمر، البناء الاجتماعي أنساقه ونظمه، دار الثروة للنشر والتوزيع، الأردن، 1992، ص 134.
- (64) - إبراهيم عبد الهادي المليجي: تنظيم المجتمع، مدخل نظرية وروية واقعية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2003، ص 216.

- (65) - أحمد زكريا أحمد ، نظريات الإعلام -مدخل لاهتمامات وسائل الإعلام وجمهورها، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2009، ص332.
- (66) - علاء هاشم مناف: فلسفة الإعلام، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2011، ص242.
- (67) - أبو أصبع خليل، استراتيجيات الاتصال وسياسات تأثيره، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن 2010 ص 205.
- (68) - المرجع السابق، ص 205.
- (69) - مصطفى محمود أبو بكر، عبد الله بن عبد الرحمن البريقي: مرجع سابق ص 114.
- (70) - حسن عماد مكاي، عادل عبد الغفار : الإعلام والمجتمع في عالم متغير، الدار المصرية اللبنانية، 2008 ص 144
- (71) - فضيل دليو : التكنولوجيا الجديدة للإعلام والمجتمع والاتصال، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2010، ص 113.
- (72) - فيصل أبو عيشة: الدعاية والإعلام، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2011 ص 204.
- (73) - فضيل دليو، مرجع سابق، ص 26
- (74) - أبو عرجة تيسير وآخرون : وسائل الإعلام أدوات تعبير وتغيير، دار أسامة للنشر والتوزيع ، ط1، الأردن، 2013، ص 107.
- (75) - فواز منصور الحكيم: سوسيولوجيا الإعلام الجماهيري، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2011، ص 269.
- (76) - حرين شفيق: السيكلوجية الإعلام، دراسات متطورة في علم النفس الإداري، دار الفكر وفن للطباعة والنشر والتوزيع 2008، ص 250.
- (77) - عبد العزيز رأس مال: كيف يتحرك المجتمع، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1999، ص 39.
- (78) - حسين علي الفلاحي: الإعلام التقليدي والإعلام الجديد، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ص 207.
- (79) - عبد الرحمن عزي، السعيد بومعيزة : الإعلام والمجتمع، رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية والإسلامية، دار الورسم للنشر والتوزيع، 2010، ص.
- (80) - عبد السلام حيمر: مرجع سابق، ص345.
- (81) - المرجع سابق، ص345.
- * الجيولوجيا: علم الأصل، علم ومنطق ودراسة نقدية.
- (82) - عبد السلام إبراهيم محمد : الضبط الاجتماعي في المجتمعات القبلية، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط 1، الجيزة، 2010، ص127.
- (83) - حسن الساعاتي: علم اجتماع القانون، مكتبة الأنجلو المصرية، 1968، ص104.